تاثير الاختراق الثقافي في الواقع الاجتماعي

المدرس المساعد ماجدة شكر مهدي
جامعة بغداد - كلية الاداب
قسم الاجتماع

تمهيد:

تهدف الدراسة الحالية عبر رؤية تحليلية الى بيان صورة جديدة للواقع الاجتماعي المبتلى بالمستحدثات الثقافية الجديدة والتي تكالبت عليه من شتى الجوانب الاجتماعية والثقافية متخذة صوراً و اشكالا ثقافية متعددة و في ذات الوقت يتطلب منه (الحصانه المبدئيه الراسخة اي المحافظة على ثوابته القيمية بشكل معافى ودائم ضد المؤثرات السلبية لما يسمى بـ(الاختراق الثقافي الجديد) بوسائله الخفية والمعلنة.

اهمية الدراسة

تركزت الدراسة حول توضيح مايسمى بـ(الاختراق الثقافي) مع بيان الاليات المتبعه للتقليل من حدة مؤثرات الاختراق الثقافي وهل بامكاننا فعلا ايقاف الاختراق الثقافي ومقاومته وماهي السبل الكفيلة للمقاومة.

جميع هذه الافكار قد نستطيع توضيحها عبر رؤية تحليلية متواضعة نشعر بأن مجتمعنا في الوقت الحالي بحاجة اليها.

نماذج من الدراسات السابقة

اولا:البث الفضائي والعلاقات الاسرية*

اهمية الدراسة:

تبرز اهمية الدراسة من خلال عرضها لواقع البث الفضائي الحديث وانعكاساته الايجابية والسلبية على المجتمع وخصوصاً(العلاقات الاجتماعية) بما يطرحه من افكار ومواضيع قد تقوض بعض القيم والعادات الاجتماعية السائدة في المجتمع.

عينة الدراسة:

طبقت الدراسة على عينه شملت مختلف الطبقات في مدينة بغداد بمجموع (٣٠٠) مبحوث.

منهجيه الدراسة:

اعتمدت الدراسة على ثلاثة مناهج اساسية هي المنهج المقارن-ومنهج المسح الاجتماعي-والمنهج التاريخي-واعتمد الباحث في عملية جمع المعلومات والبيانات على الاستمارة الاستبيانية والملاحظة البسيطة والمقابلة-اضافه الى تبوع الاساليب الاحصائية في الدراسة كالوسط الحسابي- الانحراف المعياري –والترابط المرتبي ومربع كاي.

ثانيا: الابعاد الاجتماعية والثقافية للمعلوماتية*

اهمية الدراسة:

تتركز اهمية الدراسة بعده محاور رئيسة اهمها:

١- توضيح معالم الثورة المعلوماتية

٢- احتواء الثورة المعلوماتية بجوانبها السلبية والايجابية

٣- تاثيرات الثورة المعلوماتية باعتبارها بداية عصر جديد

عينة الدراسة:

طبقت الدراسة على عينتين الاولى قصدية اجريت على مستخدمي الحاسوب والانترنت وقد تضمنت (٧٠)مبحوث والثانية عشوائية اجريت على مستخدمي الفديو (CD) وقد تضمنت (١٨٠) مبحوث وشملت العينتين مختلف الانتماءات الطبقية في بغداد.

منهجية الدراسة:

اعتمدت الدراسة على منهجين اساسيين هما المسح الاجتماعي، والمنهج التاريخي، كذلك اعتمد الباحث في عملية جمع بيانات الدراسة على الاستمارة الاستبيانية والمقابلة والملاحظة البسيطة.

كما تم استعمال الاساليب الاحصائية المتعددة كالوسط الحسابي والانحراف المعياري والترابط المرتبي.

اولاً:الاختراق الثقافي ووسائله:

يتمتع الانسان المعاصر في عالمنا بفرص اكثر مما كانت متاحة قبل ٢٠ او ٥٠عاما او ١٠٠عام وقد ارتفعت معدلات معرفة القراءة والكتابة بين البالغين من ٤٨٪ في عام ١٩٧٠ الى ٧٢٪في عام ١٩٩٧، واصبحت اغلبيه الدول مستقلة ويعيش اكثر من ٧٠٪ من سكان العالم في ظل نظم حكم ديمقراطية تعددية بدرجة معقولة، واصبح العالم اكثر ازدهارا، ولكن على الرغم من التقدم الهائل الذي تحقق في القرن العشرين، يواجه العالم اليوم تراكمات ضخمة من الحرمان وانعدام المساواة التي تخلق تفاوتات حادة داخل البلدان والمناطق فعلى سبيل المثال ان طفلا واحد بين كل سبعه اطفال في سن التعليم الابتدائي لايتلقى ذلك التعليم، كما يعاني شخص بين كل ثمانية اشخاص في اغنى بلدان العالم من الافتقار الى معرفة القراءة والكتابة اللازمة للعيش في المجتمع ولاننسى كذلك ان التباين بين الجنسين كبير ايضا ففي البلدان النامية مازال عدد النساء الاميات اعلى من عدد الرجال الاميين بنسبة ٦٠٪ ومازال قيد الاناث في مرحلة التعليم الابتدائي اقل بنسبة ٦٠٪ من قيد الذكور ،وبالمقابل نجد ان الاتصالات بين الناس وثقافاتهم وافكارهم وفهمهم واساليب حياتهم تتزايد وتتعمق على نحو غير مالوف.

فالتلفاز يصل اليوم الى الاسر في كل مكان، وفيما يتعلق بكثيرين يعد استقبال ثقافات جديدة امرا مثيرا فيما ينظر اخرون الى ذلك بقلق لانهم يحاولون التاقلم مع عالم يتغير بسرعة، وكما عبر المهاتماغاندي عن ذلك في اوائل القرن الماضي: (لااريد ان يكون منزلي محاطا بجدران من جميع الجوانب ونوافذي مسدودة، فانا اريد ان تهب ثقافات جميع البلاد على منزلي باقصى درجة ممكنة من الحرية ولكني ارفض ان تعصف بي أي ثقافة منها بيد ان مانخشاه اليوم من الاختراق الثقافي هو تدفق الثقافة والمنتجات الثقافية في اتجاه واحد أي من البلدان الغنية الى البلدان الفقيرة، وبذلك تسهل على هذه البلدان عملية تمرير اهدافها من خلال عملية الاختراق الثقافي التي يمكن ان تقضي الى النتائج الاتية:

١- تطويق الابداع الادبي والفني لدى الشعوب ذات الهويات الثقافية باغراقه في تسويق صناعتها ونتاجها.

٢- تهميش الثقافة الوطنية واللغة القومية، بفرض لغة وثقافة القطب الاقتصادي الذي ينتج وحده ويفرض لغته وطريقته عبر وسائل الاتصال والتواصل وحده.
٣- تقليص العلاقة الحميمية بين المثقف وبين الخبرة المباشرة بعملة وبالحياة من حوله فعولمة الاعلام تقدم للمتعلم وللمثقف كل ماكان يختبره بنفسه تقدمه جاهزا موثقا فتغنيه عن الانتقال في الزمان والمكان، وعن معاناه تطوير خبرته الجمالية الاستدلالية، فيصبح تلقيه للمعارف والخبرات تلقائيا آليا.
تمهيدا لجعل انسان المستقبل نسخا متكررة، تفكر وتتذوق وتستدل بطريقة شبه موحدة، لما ما يستعصي على التوحيد والاليه فيسنقرض تدريجيا.
٤- الغاء الرابطة الروحية والتراث والتاريخ للامم التي تعد الدين والتراث والتاريخ جزءا من تكوينها الشخصي والحضاري والاجتماعي والانساني لكي تلغي الميزة الانسانية لهذه الامم وجعلها دون رابط روحي وحضاري وتراثي ولا تاريخ لها مثل الكيانات التي قامت على الاغتصاب والقوة كالكيان الصهيوني وامريكا.
٥- السيطرة على وسائل الدعاية والاعلام وبث ونشر الافكار الهدامة المعادية لاماني الامم والشعوب لخلق وتثقيف اجيال تكون منسلخة عن جذورها وتراثها واخلاقها من خلال السيطرة على القضاء اعلاميا وغزوة وامتلاك وسائل التحكم به.

اما الوسائل التي تعتمدها الاختراقات الثقافية في يومنا هذا للوصول الى الطرف المقابل فهي التكنولوجيات الجديدة فقد ادت تكنولوجيا الاتصالات بواسطة الاقمار الصناعية منذ منتصف الثمانينات الى نشوء وسيط جديد قوي له امتداد عالمي والى ظهور شبكات اعلامية مثل شبكة (CNN) ،فقد تضاعف تقريبا عدد اجهزة التلفاز لكل ١٠٠شخص على نطاق العالم خلال المدة من العام ١٩٨٠الى عام ١٩٩٥ بحيث بلغ ٢٣٥جهازا بعد ان كان ١٢١جهازاً.. وشهدت التسعينات ازدهارا في الصناعات المتعددة الوسائط بحيث بلغت قيمة مبيعات اكبر (٥٠)شركة في العالم من الشركات متعددة الوسائط (١١٠)بلايين دولار في العام ١٩٩٣.. ويؤدي تطور الانترنت الى نشر الثقافة في شتى انحاء العالم،عبر بنية موسعة للاتصالات السلكية

واللاسلكية مكونه من الياف بصرية وهوائيات تولد اشارات وتعكسها الى الفضاء الخارجي.
ويجدر بالذكر ان الانترنت في وقتنا الحاضر، يربط اكثر من (٣٢٠٠٠) شبكة حاسوب لتوصيل مالايقل عن مليوني جهاز حاسوب واكثر من (٣٠)مليون مستخدم عن طريق (الموديم) وخطوط الهاتف في (١٣٥) بلدا ضمت شبكة عالمية واسعة النطاق ومن المؤمل كذلك ان يقوم (بل جيتس) و(كريج مكاو) بعد عام (٢٠٠٠) مباشرة باطلاق (٨٤٠) قمر صناعي بكلفة (٩٠) بليون دولار لربط العالم بشبكة واحدة للاتصالات ولاننسى كذلك ان هناك الى جانب الانترنت وقنوات التلفاز.. (القنوات الفضائية) والاذاعات والسينما والفديو، وادوات جديدة للاتصال اسرع وارخص ثمنا مثل وسائل الاتصال الالكترونية تربط مابين كثيرين من الناس في وقت واحد.واجهزة هاتف محمولة والات فاكس محمولة والسفر بوسائط نقل حديثة عن طريق الجو والسكك الحديدية والطرق الاخرى.. وفضلا عن ذلك تعد الكلمة المطبوعة في الكتب والصحف وسيلة لايستهان بها في نقل افكار الثقافات الاخرى الى الملايين من القراء في شتى انحاء العالم.. ويمكن القول ان كلا من السفر، والانترنت ووسائل الاعلام قد ادى الى حدوث نمو اساسي في تبادل الافكار والمعلومات او ينخرط الناس الان اكثر من أي وقت مضى في روابط تتخطى الحدود وتاخذ اشكالا مختلفة.

تبدأ من الشبكات غير الرسمية وتصل الى المنظمات الرسمية ومايحرك الاندماج العالمي هذا بشكل اسرع هو الابتكارات الحديثة في تكنولوجيا المعلومات والاتصالات.

ثانياً: معالجة الاختراق الثقافي:

ان فكرة المعالجة والمواجهة الحقيقية للاختراقات الثقافية المعاصرة تطرح امامنا المهمات الاساسية الاتية:

١- تبني المشروع العلمي واستيعاب الحضارة المعاصرة ومايجب ان ناخذه وما يجب ان نتركه مع الاهتمام بتشخيص العلل ومعرفة مكامن الضعف، وتجاوز النواقص ونقذ الذات والترفع عن الخطايا والتفاعل مع العالم بصدق دون هواجس الماضي وحساسيات التاريخ.

ان الحفاظ على الخصوصية والتمسك بالهوية الثقافية والقومية مهم ولكن لايعني ذلك العزلة عن الاخر وحماية الذات منه نظرا لاستحالة ذلك في اطار المعلومات والتكنولوجيا الحديثة، مما يتطلب تبني ثقافة انتاج وليست ثقافة استهلاك وابداع وتفاعل وتحدٍ وتغيير. وليس جمودا واستنساخا ونقلا وانما بالتاكيد على سمات الثقافة القومية باللغة والتراث والفنون والتعليم والبحوث ومواكبة الاختراعات الجديدة والاتصالات الحديثة والنقل المنظور والاعلام النقي الصادق.. وجميعها تضمن خصوصية حية تواجه باقتدار ولاتنهزم تتقدم ولاتنعزل بتفاعل ولاتذوب تدمر الغزو الثقافي وتنتصر متمسكه بهوية وطنية وثقافة قومية. وهذا يلزم الثقافات المحلية والوطنية بحيث تتاح لها فرصة الازدهار الى جانب الثقافات الاجنبية.. فالانسان اليوم يريد ان يعيش عصره دون ان يفقد شخصيته يريد التمسك بالهوية الاصلية وعدم الذوبان في الاخر.. ومن هنا لاحظنا ان دولا اوربية قد استشعرت بخطر الاختراق الثقافي ورأت انه يهدد بنيتها وكيانها الاجتماعي والثقافي كفرنسا- واليونان في المؤتمر الدولي للسياسات الثقافية الذي نظمته اليونسكو في المكسيك عام ١٩٨٢، واستعملا في خطابيهما تعبير الغزو الثقافي ومايانتج عنه من تهديد لبنيه الثقافة الوطنية ومنظومة القيم في بلديهما ومن تغيير لانماط الحياة الاجتماعية والثقافية والسلوكية والاخلاقية والترويج حين عارضت اتفاقية ماستريخيت انما كانت تدافع عن هويتها التي خشيت عليها من الاندماج في الهوية الاوربية الواحدة بالرغم من انتمائها جغرافيا الى الفضاء الاوربي.

وسنغافورة الجزيرة التي تقوم بها دولة متحررة الاقتصاد ومتقدمة تتعامل بتحفظ مع الانترنت وتخشى على قيمها الكونفوشيوسية من الانحدار الى الانحلال والتفسخ والعصف بخصوصيتها.. والجدير بالذكر انه يوجد حتى في الولايات المتحدة الامريكية تيار ممنهج فكريا ينادي بالحفاظ على الهوية الامريكية التي اصبحت مهددة بتدفق الهجرة العالمية مهما يكن الامر.

٢- تنشيط التفاعل والحوار الثقافي مع ثقافات الامم الاخرى اذ ان منطق التفاعل والحوار هو المنطق الوحيد الذي سمح باستمرارية الوجود مع الابقاء على التمايز او اليه التفاعل والحوار هي الالية المناسبة والاساسية

التي تساعد على تكثيف الجهود الثقافية المختلفة في مواجهة منطق الصراع الحضاري والثقافي الذي تبنى عليه فكرة الاختراق الثقافي.
٣- ان فكرة مقاومة ومناهضة الاختراق الثقافي تتقوى بين اوساط المثقفين نتيجة لتفهم المخاطر التي تترتب على القبول بالاختراق على حساب هوية الثقافة الوطنية والقومية، وهذا يعني وجوب مكافحة الامية في صفوف شرائح كبيرة من المجتمعات المتخلفة، فعلى سبيل المثال وكما ذكرنا سابقا- كان هناك في عام ١٩٩٧مابيناهز (٨٥٠)مليونا من الاشخاص البالغين في العالم اميين، وفي البلدان الصناعية كان اكثر من (١٠٠)مليون نسمة اميين وظيفيا وكان ماينا‌هز (٢٦٠)مليون طفل خارج التعليم المدرسي على المستويين الابتدائي والثانوي.

الخاتمة

ليجنب مخاطر الاخترالق الثقافي في الواقع الاجتماعي، يتطلب ان نبدأ اولا من طبيعة المواطن العربي واتجاهاته الفكرية التي تعكس واقعه الاجتماعي والثقافي والتي يتطلب منه عندئذ اختيار الالية الثقافية المناسبة للتفاعل الواعي والصريح مع العصر المعلوماتي بخطى ثابتة وموزونه تترجم وتقيم هوتيه الثقافية التي باتت اليوم هي الهدف.

المراجع العربية

١- د.برهان غليون،الوطن العربي،امام تحديات القرن الواحد والعشرين، مجلة المستقبل العربي، العدد ٢٣٢،حزيران، يونيو١٩٩٨،ص٥١
٢- حسن محمد طواليه، اثر الفضائيات في التماسك الاجتماعي العربي، مجلة دراسات اجتماعية، العدد٨، بيت الحكمة، بغداد،٢٠٠٠،ص٤١
٣- د.صابر ملحوط، د.محمد البخاري، العولمة والتبادل الاعلامي الدولي، دمشق،منشورات دار علاء الدين، ٩٩٩،ص١١
٤- محمد عابد الجابري، العولمة والهوية الثقافية، مجلة المستقبل العربي،العدد ١٩٩٨،٢٢٨،مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت.
٥- محمد الكناني، أي منظور لمستقبل الهوية في مواجهة تحديات العولمة ،كتاب العولمة والهوية، ص٨٥
٦- د.عبد اللطيف علي حسين المياح،الوطن العربي واشكالية العلاقة بين العولمة الاقليمية الجديدة،مجلة دراسات وبحوث الوطن العربي، ص٧
٧- د.مفيد الزيدي،صراع الحضارات ام تعدد ثقافات ،مجلة اليرموك،عمان العدد الخامس والعشرون،١٩٩٩،ص١٤
٨- د.نجم عبد الامير الانباري،الموقف من العولمة، مجلة دراسات وبحوث الوطن العربي، ص٨٨
٩- نايف علي عبيد،العولمة والعرب،مجلة المستقبل العربي، العدد٢٢١، ١٩٩٧ مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت، ص٧
١٠- جلال الدين زيادة،الوظيفة الثقافية للقنوات الفضائية ،رسالة دكتوراه،جامعة بغداد، كلية الاداب،١٩٩٩،ص٥٨
١١- نبيل جاسم محمد السويداوي،البث الفضائي والعلاقات الاسرية رسالة ماجستير اداب ،جامعة بغداد، ٢٠٠٥
١٢- مازن مرسول محمد، رسالة ماجستير آداب في علم الاجتماع، بغداد، ٢٠٠٤.
١٣- تقرير التنمية البشرية، ١٩٩٩،المنشور لحساب برنامج الامم المتحدة الانمائي
١٤- تقرير التنمية البشرية، ١٩٩٩،ص٣٣.

الهوامش

* نبيل جاسم السويداوي، رسالة ماجستير آداب في علم الاجتماع، بغداد ٢٠٠٥.
* مازن مرسول محمد، رسالة ماجستير آداب في علم الاجتماع، بغداد ٢٠٠٤.